مع الصحابة والتابعين

٨

عمار بن ياسر

ترجمه: كمال السيد

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

سبق لمؤسسة أنصاريان شرف تقديم سلسلة عن سيرة أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً ، و لقد حظيت السلسلة باستقبال من فتيان الإسلام ممّا شجّع على تقديم سلسلة أخرى عن صحابة وقفوا مع النبي (صلى الله عليه و آله) و كانوا بحق رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

و هي إذ تقدّم هذه السلسلة إلى مكتبة الفتى المسلم إنما تأمل الإقتداء بأولئك الرجال الأفذاذ الذين أسهموا في صنع مجد الإسلام و رفع رايته عالياً ، و أضاءوا الطريق للأجيال .

مؤسسة أنصاريان : إيران ، قم ، شارع الشهداء

صندوق البريد : ايران / قم : ١٨٧ ، الهاتف : ٧٤١٧٤٤

كان الناس في مكّة يعيشون في جهل و ظلام .

يظلم القويّ الضعيف و يسلبه حقه فلا ينصره أحد ، و كان زعماء قبيلة قريش يشتغلون في التجارة ، فكانت لهم رحلتان تجاريتان كلّ عام .

في فصل الصيف تذهب قوافلهم إلى الشام ، و في فصل الشتاء يتجهون إلى اليمن .

و أهل مكّة فيهم فقراء و فيهم أثرياء ، فالأثرياء يظلمون الفقراء و يقهرونهم ، و بعض الفقراء يعيشون عبيداً لا يملكون شيئاً حتى حرّيتهم .

و في ذلك الزمان عاش سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) ، كان يذهب إلى جبل حراء ، يفكّر في مصير الناس ، و يفكر في قومه و في عبادتهم للأصنام و الأوثان .

و ذات يوم و عندما بلغ سيّدنا محمّد من العمر أربعين سنة هبط عليه الوحي ، يُبشِّره بالإسلام رسالة الله سبحانه إلى الناس جميعاً .

و هبط سيّدنا محمّد من الجبل و هو يحمل معه رسالة الإسلام لكي يعيش الناس إخواناً متحابين .

أصغى الفقراء و المظلومون إلى نداء الإسلام فآمنوا به و امتلأت قلوبهم بحبّ الإسلام .

و سمع الظالمون من تجّار قريش و أثريائها فحقدوا على سيدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) و راحوا يكيدون للإسلام و المسلمين .

كان أبو جهل أكثر المشركين حقداً و كان يؤذي سيّدنا محمّداً (صلى الله عليه و آله) كثيراً .

دار الأرقم

كان سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) يجتمع بالمؤمنين سرّاً في دار الأرقم ، حتى لا ينكشف أمرهم فيتعرّضون لانتقام أبي جهل و أبي سفيان و غيرهما من المشركين .

و ذات يوم جاء عمّار بن ياسر فوجد رجلاً واقفاً عند الباب فقال :

ـــ ماذا تفعل هنا يا صهيب ؟

أجاب صهيب :

ـــ جئت أسمع كلام محمّد . . و أنت ؟

قال عمّار :

ـــ و أنا أيضاً جئت أسمع كلامه .

و دخل عمّار و صهيب ، و راحا يصغيان بخشوع إلى كلمات الله

و آيات القرآن الكريم .

شعر عمّار بالإيمان يملأ قلبه ، كما تمتلئ السواقي بماء المطر .

و عندما أراد عمّار و صهيب أن يخرجا قال سيدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) :

ـــ امكثا هنا إلى المساء .

كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يخشى عليهما من انتقام قريش .

انتظر عمّار حتى حلّ الظلام فخرج من دار الأرقم و أسرع نحو منزله .

كانت اُمّه تنتظر عودته بقلق ، و كذلك كان أبوه هو الآخر ينتظر عودته .

عندما دخل عمّار ، عمّت الفرحة البيت الصغير . و راح عمّار يحدّث والديه عن الإسلام دين الله .

آل ياسر

ينتمي عمّار في نسبه إلى قبائل اليمن ، و لكن ما الذي جاء به إلى مكّة ؟

جاء والده (ياسر) مع أخويه الحارث و مالك يبحثون عن أخيهم

الرابع الذي انقطعت أخباره .

بحثوا عنه في كلّ مكان ، ثم جاءوا إلى مكّة للبحث عنه فلم يعثروا على أثر له .

أراد الحارث و مالك العودة إلى اليمن ، و لكن ياسراً فضّل البقاء في مكّة قرب بيت الله الحرام .

لجأ ياسر إلى قبيلة بني مخزوم و أصبح كأحد أفرادها و تزوّج جارية اسمها سميّة .

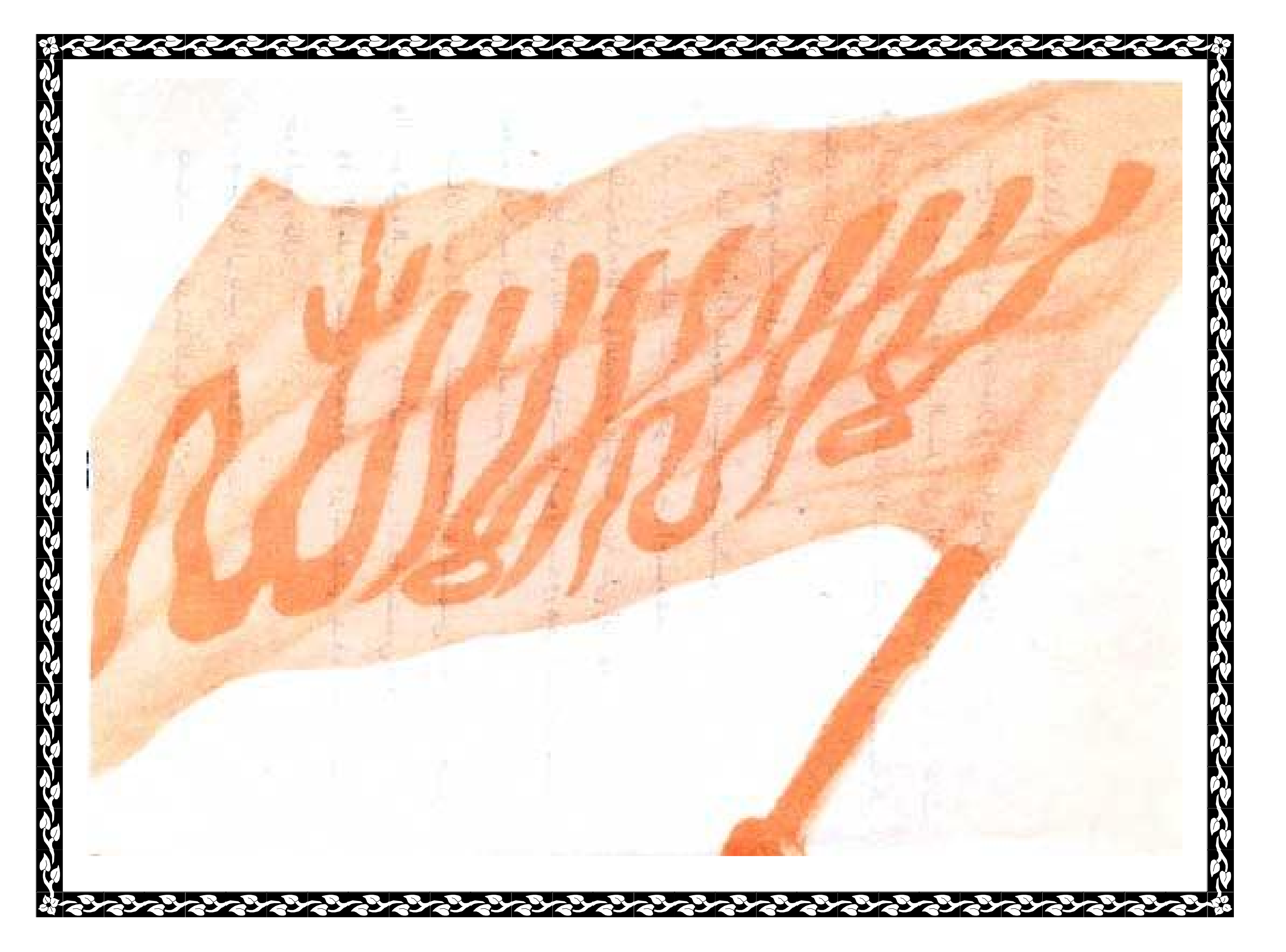
و تمرّ الأيام و تنجب سميّة صبياً فسمّاه أبوه عمّاراً .

عمّار

ولد عمار بن ياسر قبل عام الفيل بأربع سنين أي قبل ولادة سيدنا محمد (صلى الله عليه و آله) الذي وُلد في عام الفيل .

و عندما أصبح شاباً ، تعرّف على سيدنا محمد (صلى الله عليه و آله) و أصبح صديقاً له .

كان يحب سيدنا محمّداً (صلى الله عليه و آله) لأخلاقه و أمانته و إنسانيته .



و ذات يوم كان يتمشى مع سيدنا محمد (صلى الله عليه و آله) بين جبل الصفا و جبل المروة و كان عمره تسعاً و عشرين سنة و عمر سيدنا محمد خمساً و عشرين سنة ، جاءت هالة أخت خديجة بنت خويلد و تحدّث مع عمار حول فكرة زواج سيدنا محمد (صلى الله عليه و آله) من خديجة ، و وافق سيدنا محمد حيث تمّ الزواج المبارك .

و عندما بعث الله سيدنا محمداً برسالة الإسلام آمن عمار و والده ياسر و اُمه سمّية .

الانتقام

سمع أبو جهل بإسلام عمار و والديه فجنّ جنونه .

قاد أبو جهل جماعة من المشركين و اتجهوا إلى منزل ياسر . كانت في أيديهم المشاعل فأحرقوا الدار و اقتيد ياسر و عمار و سمية إلى الصحراء خارج مكّة .

قيّدوهم بالسلاسل ، و بدأوا بتعذيبهم .

في البداية انهالوا عليهم بالسياط حتى سالت الدماء .

ثم جاءوا بمشاعل النار و راحوا يكوون أجسادهم .

و ظلّت هذه الأسرة الصغيرة المؤمنة ثابتة على إيمانها .

جاء أبو جهل بالصخور و وضعها فوق صدورهم ، كانوا يتنفسون بصعوبة و لكنّهم ظلوا على إيمانهم .

حان وقت الظهر و اشتدت حرارة الشمس فعاد أبو جهل و المشركون إلى مكة و تركوا الأسرة تحت أشعة الشمس الحارقة .

و في الأثناء مرّ سيدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) و رآهم على هذه الحالة فبكى رحمة لهم و قال :

ــ صبراً يا آل ياسر إنّ موعدكم الجنّة .

قالت سميّة و قد ملأ قلبها الإيمان :

ــ أشهد انّك رسول الله و أن وعدك الحقّ .

عاد الجلاّدون يتقدّمهم أبو جهل و بيده حربة طويلة و بدأ يعذّبهم بالحديد و النار .

فقد عمار و ياسر و سمية وعيهم ، فرشّوهم بالماء ، و عندما أفاقوا صاح أبو جهل بسمية :

ــ اذكري الآلهة بخير و محمداً بسوء .

بصقت سميّة في وجهه و قالت :

ــ بؤساً لك و لآلهتك .

شعر أبو جهل بالحقد ، فرفع الحربة عالياً و سدّد ضربة إلى بطنها و راح يمزّق جسمها بالحربة حتى قتلها ، فكانت سميّة أول شهيدة في تاريخ الإسلام .

و اتجه أبو جهل إلى ياسر و راح يركله بقدمه على بطنه حتى قتله و استشهد ياسر تحت التعذيب الوحشي .

رأى عمار ما حلّ بوالديه فبكى . و انهال عليه أبو جهل و المشركون بالسياط و أنواع العذاب ، و صاح أبو جهل :

ـــ سوف أقتلك إذا لم تذكر آلهتنا بخير .

لم يتحمّل عمّار ذلك التعذيب الوحشي فقال :

ـــ اعل هبل .

ذكر عمّار آلهتهم بخير لكي يكفّوا عن تعذيبه ، عندها حلّوا وثاقه و تركوه .

الإيمان في القلب

جاء عمّار إلى سيدنا محمّد يبكي ، لم يكن يبكي من أجل والديه و لا من أجل نفسه و ما رآه من عذاب ، جاء يبكي لأنه ذكر الأوثان بخير .



واسى رسول الله عمّاراً باستشهاد والديه ، و كان عمّار ما يزال يبكي قائلاً :

ــ لم يتركوني يا رسول الله حتى أكرهوني فذكرت آلهتهم بخير .

قال سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) و الرحمة تشعّ من عينيه :

ــ كيف تجد قلبك يا عمّار ؟

ــ قلبي مطمئن بالإيمان يا رسول الله .

قال النبي (صلى الله عليه و آله) :

ــ لا عليك يا عمّار . لقد أنزل الله فيك " إلاّ من أُكره و قلبه مطمئن بالإيمان " .

الهجرة

اشتدت محنة المسلمين في مكّة ، فأمر سيّدنا محمّد أصحابه بالهجرة إلى " يثرب " ، و هاجر عمّار مع مَن هاجر في سبيل الله .

و عندما هاجر سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) عمّت الفرحة المدينة المنوّرة و عاش المهاجرون مع إخوانهم الأنصار حياة طيبة تسودها المحبّة و التعاون و الاخاء .

كان أوّل شيء فكّر فيه رسول الله (صلى الله عليه و آله) هو بناء مسجد يعبد فيه المسلمون الله وحده ، و يكون رمزاً لعزة الإسلام و قلعة للأُمة الإسلامية .

شمّر المسلمون عن سواعدهم و راحوا يعملون بحماس لبناء مسجد النبيّ (صلى الله عليه و آله) .

كان بعضهم يحمل التراب ، و بعض يصنع الآجر ، و آخرون يحملون ما جفّ منه لبناء الجدران .

كان سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) يعمل مع أصحابه ، و كان عمّار يعمل بنشاط و قد غطّاه الغبار ، كان كلّ فرد من المسلمين يحمل لبنة (طابوقة) واحدة ، أما عمار فكان يحمل لبنتين ، فقال له سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) : لهم أجر و لك أجران .

و لكي يبثّ في قلوب إخوانه الحماس في العمل ، كان يردّد شعاراً حماسياً :

ــ لا يستوي من يعمّر المساجدا

يدأب فيها قائماً و قاعدا

و من يرى عن الغبار حائدا

كان بعض الصحابة يتحاشى الغبار ، فظنّ أن عمّار يعنيه بهذا الشعر .

جاء عثمان إلى عمّار و قال له مهدّداً :

ــ سوف أضرب أنفك بهذه العصا .

نظر عمّار إليه و لم يقل شيئاً .

سمع سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) بذلك فتألم و جاء إلى عمّار و قال :

ــ إنّ عمّاراً جلدة ما بين عيني و أنفي .

مسح سيّدنا محمّد عن وجه عمّار الغبار ، فامتلأ قلب الصحابي الجليل حبّاً للنبي الكريم .

الجهاد في سبيل الإسلام

مرّت الأيام و الشهور و شاء الله سبحانه أن يثأر للمظلومين من الذين اضطهدوا للمسلمين في مكّة و نهبوا أموالهم و صادروا حقوقهم .

وقعت معركة بدر ، و كان عمّار في طليعة المقاتلين ، الذين خرجوا لاعتراض قافلة لقريش قادمة من الشام .

جاءت الأخبار المشركين في مكة قد ألفوا جيشاً بقيادة أبي جهل و أنهم يتجهون نحو المدينة .

استشار النبي أصحابه ، و استقر الرأي على مواجهة المشركين .

بعث سيّدنا محمّد عمار بن ياسر و عبد الله بن مسعود لجمع المعلومات عن عدد أفراد الجيش و عن عدّهم .

قام عمّار بمهمته خير قيام و كان شجاعاً جريئاً فاقترب من قواهم ليلاً و طاف حول معسكرهم لجمع المعلومات .

عاد عمّار و معه صاحبه إلى سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) قال عمّار :

ـــ إن القوم مذعورون خائفون ، و أن الفَرس يريد أن يصهل فيضربه صاحبه على وجهه ، و السماء تسحّ عليهم بالمطر .

كانت المعلومات التي قدّمها عمّار حسّاسة جدّاً ، فقد أشار إلى حالتهم المعنوية المتردّية ، و حالة الخوف المسيطرة عليهم ، كما أشار إلى غزارة الأمطار و طبيعة الأرض و الطين التي ستحّد من قدرهم على الحركة .

و في الصباح عندما استيقظ المشركون وجدوا آثاراً غريبة فجاء " مبنه بن الحجاج " و كان عالماً بالأثر ، فصاح : و اللات و العزى هذا أثر ابن سمية و ابن اُم عبد أي عبد الله بن مسعود .

المعركة

في صباح يوم السابع عشر من شهر رمضان سنة ٢ هجرية وقعت معركة بدر الكبرى . . أوّل معركة في تاريخ الإسلام ، و نصر الله المؤمنين على المشركين .

كان عمّار يقاتل بحماس المسلم الذي يؤمن بالنصر أو الشهادة .

و عندما انهزم المشركون ، شاهد عمّار " أبا جهل " جثة هامدة ، فتذكّر تلك الأيام التي كان فيها أبو جهل يؤذي المسلمين و يعذّب والديه الشهيدين ياسر و سميّة . و ها هي سيوف المظلومين تقتصّ من الظالمين .

رفع عمّار عينيه إلى السماء و شكر الله سبحانه على نصره .

عمار مع الحق

بلغ عمّار من العمر ستين سنة ، و لكنه كان يفوق الشباب في حماسه من أجل الجهاد في سبيل الله .

كان عمّار عميق الإيمان بالله شديد الحبّ لرسول الإنسانية سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) و كان النبيّ (صلى الله عليه و آله) هو الآخر يحبّ صديقه

القديم الذي رافقه شبابه و آمن به و نصره و وقف إلى جانبه .

كان سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) يشيد بمنزلة عمّار في المناسبات ، فمرّة قال (صلى الله عليه و آله) :

ــ عمّار مع الحق و الحقّ مع عمّار يدور معه كيفما دار .

و فيه قال :

ــ طوبى لعمّار تقتله الفئة الباغية .

ــ إن عمّاراً قد ملئ إيماناً إلى أخمص قدميه .

ــ يا عمّار تقتلك الفئة الباغية و آخر زادك من الدنيا ضياح (إناء) من لبن .

و تمرّ الأيام و الشهور و الأعوام و عمّار إلى جانب سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) يجاهد في سبيل الله أعداء الإسلام و الإنسانية .

وفاة النبي (صلى الله عليه و آله)

في السنة الحادية عشر من الهجرة توفي سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) فحزن المسلمون جميعاً ، و بكى عمّار رسول الله و صديقة القديم و تذكّر أيام الشباب في مكّة و أيام الجهاد .

و ظلّ عمّار (رضوان الله عليه) وفيّاً لإسلامه مجاهداً في سبيل الدين ، يقول كلمة الحق و لا يخاف أحداً إلاّ الله .

كان عمّار يحبّ عليَّ بن أبي طالب (عليه السَّلام) لأنّه طالما سمع سيّدنا محمّداً يقول :

ـــ يا علي لا يحبّك إلاّ مؤمن و لا يبغضك إلاّ منافق .

ـــ يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ انه لا نبيّ بعدي .

و في عودته من حجّة الوداع رأى عمّار (رضوان الله عليه) سيّدنا محمّداً (صلى الله عليه و آله) يمسك بيد سيّدنا علي بن أبي طالب و يرفعها عالياً و يقول :

ـــ من كنتُ مولاه فهذا علي مولاه

اللّهم والِ من والاه و عادِ من عاداه

و انصر من نصره و اخذل من خذله

لهذا كان عمّار يعتقد أن عليّ بن أبي طالب هو خليفة سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) .

عندما تمّت البيعة لأبي بكر و امتنع بعض الصحابة من المهاجرين و الأنصار عن البيعة ، امتنع عمّار عن البيعة و وقف في جانب عليّ بن أبي طالب و فاطمة الزهراء بنت سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) .

و بعد ستة أشهر ، توفيت سيدة نساء العالمين و اضطر الإمام علي للبيعة حفاظاً على مصلحة الإسلام ، و بايع عمّار بن ياسر (رضوان الله عليه) اقتداءً بالإمام .

الجهاد

انصرف عمّار إلى حياة الجهاد فاشترك في معارك الفتح الإسلامي هنا و هناك . كما قاتل ببسالة في حروب الردّة باليمامة .

عندما أصبح عمر بن الخطاب خليفةً بعد أبي بكر ، عيّنه والياً على الكوفة فأقام حكم الله و رأى الناس في سيرته العدل و الرحمة و التواضع و الزهد .

الشورى

في سنة ٢٣ هجرية تعرّض الخليفة عمر بن الخطاب إلى محاولة اغتيال .

جاء بعض المسلمين و ذكّروا عمر بأن يفكر في الخلافة من بعده .



رأى الخليفة أن تكون شورى بين ستة أشخاص هم علي بن أبي طالب (عليه السَّلام) و عثمان بن عفان و طلحة و الزبير و عبد الرحمن بن عوف و سعد ابن أبي وقاص . و أمرهم بالاجتماع في أحد المنازل و انتخاب خليفة من بينهم خلال ثلاثة أيام.

كان عمّار بن ياسر (رضوان الله عليه) يتمنى أن ينتخبوا عليّاً لجهاده الطويل و قرابته من سيّدنا محمّد و علمه و فضله و سابقته في الإسلام .

مضى يوم ثم يومان و ليس هناك من نتيجة .

كانت المنافسة بين عليّ بن أبي طالب و عثمان بن عفان .

اجتمع حول المترل بعض الصحابة فيهم المقداد و عمّار بن ياسر و العباس و غيرهم و كانوا يتمنون انتخاب علي ، و اجتمع بنو أمية و كانوا يريدون انتخاب عثمان . هتف عمّار لكي يسمعه عبد الرحمن بن عوف :

ــ إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع عليّاً .

فقال المقداد مؤيداً :

ــ صدق عمّار إن بايعت عليّاً قلنا : سمعنا و أطعنا .

كان عبد الرحمن بن عوف يطمع بالخلافة ففكّر لو أنّه بايع عليّاً فانّه لن يساومه عليها فيما بعد .

لهذا بايع عبدُ الرحمن عثمانَ حتى يردّها عليه بعد وفاته .

و هكذا أصبح عثمان الخليفة الثالث .

خرج الإمام علي بعد أن قال لبعد الرحمن :

ــ ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا " فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون " و الله ما ولّيت عثمان إلاّ ليردّ الأمر إليك ، و الله كلّ يوم هو في شأن .

شعر عمّار بالحزن من أجل أهل البيت الذين هم أحقّ الناس بالخلافة لأن الله أذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً .

الانحراف

مرّت ستة أعوام على خلافة عثمان .

شيئاً فشيئاً كان الخليفة يبتعد فيها عن الإسلام و عن سيرة سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) و سيرة أبي بكر و عمر .

كان يعيّن أقرباء ولاةً على المدن ، و كانوا أشخاصاً سيئين ظالمين .

فمثلاً عيّن الوليد بن عتبة و هو أخاه من أمّة والياً على الكوفة ، فكان يشرب الخمر و يأتي سكران إلى مسجد و جعل من مروان بن

الحكم الحاكم الفعلي للبلاد ، فهو الذي يأمر و ينهى و يعيّن الولاة و يعزلهم ، عزل الصحابي الجليل سلمان الفارسي عن ولاية المدائن و عيّن أحد أقربائه و عزل سعد بن أبي وقاص عن ولاية الكوفة و عيّن الوليد بن عقبة .

كان عثمان ينفق أموال المسلمين على أقربائه من بني أمية و يترك الناس الفقراء و المحتاجين يتألمون .

كلمة الحق

كان في بيت مال المسلمين حلي و جواهر ، فجاء الخليفة عثمان و أخذها و وزّعها على بناته و نسائه .

شعر المسلمون بالغضب ، و راحوا يتحدّثون عن سيرة عثمان البعيدة عن روح الإسلام .

لم يتراجع عثمان بل صعد المنبر و خطب قائلاً :

ــ لنأخذن حاجتنا من هذا الفيء و إن رغمت أنوف أقوام و أقوام .

كان الإمام علي بن أبي طالب حاضراً فشعر بالحزن ، و قام عمّار بن ياسر و كان قد بلغ التسعين من عمره فقال كلمة الحق :

ـــ أشهد الله أن أنفي أوّل راغم من ذلك .

اغتاظ الخليفة و صاح :

ـــ أعليَّ يا بن ياسر تجترئ .

أشار عثمان إلى الحرّاس أن يمسكوا بعمّار .

لم يحترم الحرّاس شيخوخته و لا صحبته من رسول الله . فجرّوه إلى غرفة عثمان ، شدّوا يديه و رجليه ، و جاء الخليفة و راح يضربه على بطنه ، حتى فقد وعيه ، و جاء بعض المسلمين و حملوه إلى منزل أُم سلمة زوجة سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) .

كان عمّار ما يزال فاقد الوعي و فاتته صلاة الظهر و صلاة العصر و صلاة المغرب . و عندما عاد إليه وعيه ، أدّى تلك الصلوات قضاءً .

تذكّر أيام التعذيب في مكّة ، كان يتحمّل أضعاف ما قام به عثمان لأنّه كان شابّاً أمّا اليوم فقد أصبح شيخاً كبيراً لا يقوى على تحمّل الضرب .

تألّمت أُم سلمة لحاله فقال لها عمّار بشجاعة المؤمن الصابر :

ـــ ليس هذا بأوّل يومٍ أوذينا في الله .

نفي أبي ذر

و نفى الخليفة عثمان الصحابي الجليل أبا ذر الغفاري إلى منطقة " الربذة " و هي صحراء لا يقطنها أحد لمناخها القاسي .

و لم يكتف بهذا بل أصدر أمراً بمنع توديعه ، و لكن بعض الصحابة تألموا لما قام به عثمان و خرجوا لتوديع الصحابي الكبير أبي ذر .

خرج علي بن أبي طالب (عليه السَّلام) و سبطا سيدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) الحسن (عليه السَّلام) و الحسين (عليه السَّلام) و خرج أيضاً عمّار و ودّع أبا ذر قائلاً :

ــ لا آنس الله من أوحشك ، و لا آمن من أخافك . أما و الله لو أردت دنياهم لأمّنوك ، و لو رضيت أعمالهم لأحبّوك .

و مضى أبو ذر و معه زوجته و ابنته إلى صحراء الربذة ليموت وحيداً .

و تذكّر عمّار حديثاً سمعه من سيدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) :

ــ يا أبا ذر تعيش و وحدك و تموت وحدك .

الثورة

تصاعد غضب المسلمين بسبب سيرة عثمان و ما يقوم ولاتهُ من ظلم . و جاءت الوفود من كلّ مكان للاحتجاج ، جاءوا من الكوفة و من مصر و البصرة و غيرها من المدن .

و كان الصحابة في المدينة قد كتبوا إليهم : إن أردتم الجهاد فهلموا (تعالوا) إليه ، فان دين محمد (صلى الله عليه و آله) قد أفسده خليفتكم .

جاء الناس يشكون من الظلم ، و لكن الخليفة لم يصغ إليهم و طردهم فذهبوا إلى علي بن أبي طالب ابن عمّ سيدنا محمد و وصيّه .

كان الإمام يتمنى الإصلاح و أن يعود عثمان إلى سيرة الإسلام .

فدخل عليه وحدّثه و قال له : لا تكن أداة في يد مروان يسوقك حيث يريد ، و لا تنس مترلتك من رسول الله .

وافق عثمان على أن يعلن توبته أمام الناس فخرج إليهم و اعتذر لهم و وعدهم بسيرة يرضاها الله و المسلمون .

و لكن مروان كان مثل الأفعى فدخل عليه و غيّر رأيه و قال له :

ــ لا تكن ضعيفاً أمام الناس و هددهم .

و كانت نائلة زوجة عثمان تعرف أن مروان خبيث يكرهه المسلمون فنصحت زوجها و قالت له :

ــ أصغ إلى علي بن أبي طالب فان الناس يحبونه و يطيعونه ، و لا تطع مروان فهو شخص ليس له عند الناس قدر و لا هيبة و لا محبّة .

لم يصغ عثمان لنصيحة الناصحين فكانت النتيجة أن ثار المسلمون عليه و لقي مصرعه في قصره .

الإمام علي (عليه السّلام)

اتجهت جماهير المسلمين الى مترل الإمام علي (عليه السّلام) و دَعَتْهُ إلى تقلّد منصب الخلافة .

رفض الإمام ذلك و قال لهم :

ــ ابحثوا عن رجلٍ غيري .

و لكن الناس كانوا يدركون ان الإمام هو الرجل الوحيد الذي يستحق هذا المقام ، فأصرّوا على موقفهم . و أخيراً وافق الإمام على تحمّل هذه المسؤولية ، حتى يسدّ الطريق على الطامعين بها .

العدالة

لقد ثار المسلمون من أجل العدالة ، كانوا غاضبين ممّا حلّ بهم من الظلم ، و كان الإمام علي رمز العدالة و الحق .

لم يخيّب الإمام أمل المسلمين ، فأصدر منذ اليوم الأول قراراً طَرِدَ بموجبه جميع الولاة الظالمين الذين عيّنهم الخليفة السابق ، و عيّن مكانهم ولاة صالحين معروفين بالتقوى و الصلاح .

قام الإمام بعزل معاوية عن حكومة الشام ، و لكن معاوية كان يخطّط منذ سنين للاستيلاء على الشام ثم على بلاد الإسلام ، فأعلن العصيان ، و رفع شعار المطالبة بدم عثمان و هكذا وقعت حرب صفين على حدود سوريا مع العراق .

كان في جيش الإمام علي كثير من صحابة رسول الله (صلى الله عليه و آله) و في طليعتهم عمّار بن ياسر و مالك الأشتر و عبد الله بن عباس و غيرهم .

و كان في جيش معاوية أعداء الإسلام من أمثال مروان بن الحكم و عمرو بن العاص و ابن أبي معيط و الهاربون من عدل علي إلى دنيا معاوية .

تقتلك الفئة الباغية

كان المسلمون في العسكرين يرددون حديثاً لسيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) خاطب فيه عماراً قبل أكثر من خمس و عشرين سنة :

ــ يا عمّار تقتلك الفئة الباغية .

كان عمّار في جيش الإمام عليّ ، و كان آنذاك شيخاً قد تجاوز التسعين من عمره ، و مع هذا فقد كان يقاتل في حماس الشباب المؤمن .

رفع عينيه إلى السماء و قال :

ــ اللّهم لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر " نهر الفرات " لفعلت .

اللّهم إني لا أعلم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين .

كان عمّار مع الحقّ و الحقّ مع عمّار يدور معه حيثما دار ، لهذا قال :

ــ و الله لو ضربونا (هزمونا) حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت إنّا على الحق و إنّهم على الباطل .

و عندما اشتعلت المعركة ، خاطب عمّار المقاتلين :

ــ من يبتغي (يريد) رضوان الله ربّه ؟

فلبّى دعوته بعض المؤمنين ، و قادهم عمّار باتجاه العدّو ، و عندما شاهد الصحابة عمّاراً يتخطى الصفوف تبعوه .

كان عمّار صائماً ، و كان يقاتل بحماس كبير .

و في وسط المعركة شاهد عمّار عمرو بن العاص فخاطبه قائلاً :

ــ يا عمرو بعت دينك بمصر فتباً لك .

أي أن عمرو بن العاص وقف إلى جانب معاوية بعد أن وعده بحكومة مصر .

قال عمرو بن العاص بخبث :

ــ لا و لكن أطلب بدم عثمان .

قال عمّار :

ــ أشهد انّك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله .

و أراد أن ينصحه فقال :

ــ إذا لم تقتل اليوم تمت غداً ، و إنما الأعمال بالنيّات . فانظر لنفسك إذا اُعطي الناس على قدر نيّاتهم .

و مضى عمّار يقاتل الفئة الباغية .

الفتنة

كان المسلمون في فتنة لا يعرفون الحقّ من الباطل فكان عمّار دليلهم ، لأن سيّدنا محمّداً (صلى الله عليه و آله) قال : تقتله الفئة الباغية .

لهذا كان عمرو بن العاص يخدع أهل الشام عندما يسألونه فيقول لهم :

ــ اصبروا لأنّه سينحاز إلى جبهتنا .

و تمرّ أيام الحرب ، و عمّار يقاتل في جبهة الحق مع علي .

و ذات يوم حمل عمّار و معه مجموعة من المؤمنين و راح يقاتل ببسالة و هو يتذكر أيام الجهاد مع سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله) في بدر و أُحد و حنين و معارك الإسلام الأخرى .

كان عمّار صائماً و المعارك مستمرة . و عندما غابت الشمس و حان وقت الإفطار ، طلب عمّار ماءً يفطر به لأنّه كان ظامئاً .

جاءه أحد الجنود بإناء مليءٍ باللبن .

تبسّم عمّار و قال مستبشراً :

ــ ربّما أُرزق الشهادة هذه الليلة .

فسأله البعض عن السرّ فأجاب :

ــ لقد أخبرني حبيبي رسول الله قائلاً : يا عمّار تقتلك الفئة الباغية و آخر زادك من الدنيا ضياح من لبن .

شرب عمّار (رضوان الله عليه) اللبن و تقدّم يقاتل و يقاتل حتى هوى على الأرض شهيداً .

كاد معاوية يطير من الفرح ، و شعر الإمام علي بالحزن و الأسف و ترحّم عليه . و في تلك اللحظات أدرك الجميع من هي الفئة الباغية .

كان بعض الجنود في جيش معاوية ينتظرون انحياز عمّار إلى معاوية كما ادّعى ذلك عمرو بن العاص ، و لكنهم رأوا عمّار يقاتل حتى استشهد مع أمير المؤمنين علي (عليه السّلام) ، لهذا تسللوا في الظلام و التحقوا بجيش الإمام بعد أن عرفوا جبهة الحق .

النهاية

أحدث استشهاد عمّار بن ياسر دوياً في الجبهتين فارتفعت معنويات جيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيما هبطت معنويات جيش معاوية .

و في تلك الليلة شن جيش الإمام هجوماً كاسحاً على جيش معاوية و كاد أن يحرز النصر النهائي .

فجاء عمرو بن العاص بحيلة جديدة حيث رفع جيش الشام المصاحف يطالبون بتحكيم كتاب الله .

توقفت المعارك و انسحب الجيشان من سهل صفين . و بقيت جثث الشهداء و في طليعتهم الصحابي الكبير عمّار بن ياسر الذي بلغ من العمر ستة و تسعين عاماً .

و اليوم عندما يزور المسلمون تلك البقعة من أرض الله يرون مزاراً كبيراً لذلك الصحابي الذي قضى عمره في الجهاد من أجل الإسلام ، و عرف المسلمون باستشهاده مع مَن كان الحق في تلك الحرب المريرة .